مقدمة في دراسة اللغة العبريّة السامريّة

نـهاد حسن حجي
جامعة واسط – كلية الاداب

ملخص البحث

دراسة اللغة العبرية السامرية تُعتبر من الدّراسات المهمة، وخصوصا فيما يتعلق بنحو اللغة التي لم تأخذ المساحة المناسبة من اهتمام الباحثين، إلا قليلهم؛ كما أن دراسة لغات "الكتاب المقدس" مهمّة جدّا ومنها العبريّة السامريّة والتي تُعتبر واحدة من أهمّ تلك اللغات، حيث ما زال السامريّون يحتفظون بأقدم نسخة توارتيّة في العالم كُتبت بلغتهم، وهي بحد ذاتها لغة الرّموز التي كانت مستعملة من قبل الإنسان صاحب الأبجدية الأوّلى، والتي يدلّ كل حرف منها على عضو من أعضاء جسم الإنسان، وقد يخلط البعض أحيانا بينها وبين العبرية من جهة، والآرامية من جهة أخرى، إلا أننا وفي بحثنا المتواضع هذا نحاول أن نسلط الضوء على بعضا من خصائص تلك اللغة التي تميزها عن باقي نظائرها من اللغات السامية الأخرى والتي تمتد جذورها الى أعماق بعيدة في تاريخ البشريّة. وكذلك نوضح للقارئ الكريم ان هناك لغة تسمي اللغة العبرية السامرية وانها تختلف عن العبرية في الخط والنطق للالفاظ وفي القواعد النحوية.

أصل السامريين:

اختلفت الآراء حول هذا الموضوع[1]، إذ يعتقد اليهود أنّ السامريّين ليسوا من بني إسرائيل وإنّما هم خليط عرقي ظهر بعد السبي الآشوري (عام 722 ق.م)، وهو ما أكّده بعض المتخصصين في هذا المجال أمثال جرجي زيدان الذي رأى أن السامريين ليسوا إسرائيليين ولا من أصل إسرائيلي، وانهم سمّوا بهذا الاسم نسبة الى أرض السامرة في فلسطين وان أصلهم من بلاد فارس، من بلدة كانت تسمى كوتا، وأن أحد ملوك آشور احتل فلسطين في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد واكتسح السامرة، وأخرج اليهود منها، ثم بقيت مدينة السامرة خالية من السكان حتى جاء ملك آخر منهم فملأها بقوم حملهم إليها من بلادهم، وقد اعتمد هؤلاء الدارسين في رأيهم على ما ورد في سفر الملوك الثاني الذي جاء فيه: "وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماه وسفروائيم

وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني إسرائيل فملكوا السامرة واستوطنوا مدنها" (الملوك الثاني 24:17)[2].

كما يرى البعض من أصحاب هذا الرأي، أن السامرة يحاولون الانتساب الى اليهود تقربا إليهم وتشرفاً بأصلهم، واليهود يتبرؤون منهم. ويذهب جرجي زيدان إلى أن ذلك يتجلى من خلال مراجعة الأناجيل، فإنها تدل على ذلك دلالة صريحة في أماكن كثيرة[3] كما أن بعض العلماء المسلمين نفى صلة السامريين ببني إسرائيل، ويقول المقريزي في ذلك: "اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بني إسرائيل البتّة، وإنما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهوّدوا"[4] إلا أن السامريين أنفسهم يعتقدون أنّهم من بني إسرائيل، بل يقولون عن أنفسهم أنهم هم الإسرائيليون الأصليون الذين ينتسبون في أصلهم الى يوسف الصدّيق، وأما كهنتهم فانهم ينتسبون إلى سبط لاوي ويعتقد السامريّون أن اليهود انشقّوا عنهم وخالطوا الأمم الأخرى ويقولون إن اسمهم ليس (السامريين) بل (شومريم) وهي لفظة معناها المحافظون، ويقصدون بها أنهم محافظون على الديانة القديمة، لأنهم أمناء عليها من سائر بني إسرائيل[5]، وقد ذُكر في *كتاب التاريخ مما تقدم عن الآبا رضى الله عنهم* من ترتيب الشيخ أبي الفتح ابن أبي الحسن السامري "بنو اسرائل الحافظون"[6].

اللغة العبرية السامرية:

اللغة السامرية هي خليط من اللغات العبرية و الكلدانيّة والسريانية ولكنها تختلف عن تلك اللغات من خلال مفرداتها وقواعدها وليس من جانب الخط الذي تكتب به. بغض النظر عن أسفار موسى الخمسة، ظلت اللغة العبرانية السامرية القديمة مستخدمة كلغة للعبادات الدينيّة وأُعيد إحياؤها منذ القرن الرابع عشر فصاعداً. وامتزجت هذه اللغة بكلمات وبصيغ نحوية آرامية وتطوّرت تحت تأثير العربيّة السامريّة الدارجة وبالمثل، تظهر التراجم العبرانية عن المؤلفات العربية والآرامية التي أنجزها خلال القرنيين 19-20 الباحثون الأوروبيون، وخصوصاً موسس جاستر، تأثيراً عربياً واضحاً في الكلمات والقواعد والتراكيب[7]. على مدى تاريخهم استعمل السامريون أربع لغات وهي العبرانيّة واليونانيّة والآراميّة والعربيّة[8]، والذي يهمّنا في بحثنا هذا هو اللغة العبريّة السامريّة.

حروف اللغة السامريّة العبريّة هي اثنان وعشرون حرفًا، تتشابه مع الحروف الفينيقيّة، وتكتب من اليمين إلى اليسار وليس للسامريّين كذلك أشكال نهاية أو مدودة مثل العبريّة لأي حرف كان، ولكنّهم يستعملون نفس الشّكل في كلّ الحالات[9].

أمّا عن صرف ونحو اللغة العبرانيّة السامريّة، فهي كالعربيّة منقسمة إلى اسم وفعل وحرف[10]، وتمتلك الطّائفة السامريّة تراثا أدبيّا محدودا، لم تستطع المحافظة عليه أو تنميته ليصبح

ذاكرة حيّة لتاريخها وأدبها وفنّها، ويبدو أنّ ذلك يعود إلى لانتشار الأمّية بينهم ولجهلهم بأهمّية هذا التراث، ثم لوضعهم الاقتصادي أخيرا.

تحتفظ الطّائفة السّامريّة بثلاثة وستّين مرجعا، وهذا بحسب الدّراسة التّاريخيّة في أوضاع الطّائفة السّامريّة في مدينة نابلس، المقدّمة من خلال كتاب ولاية بيروت، لمحمّد رفيق التّميمي، ومحمّد بهجت، الكتب حسب التّقسيم التّالي:

1. عشرة نسخ للتّوراة السّامرية.
2. اثنان وعشرون تتناول العقائد الدينيّة والأدعية.
3. تسعة وعشرون تتناول اللغة والأدب السّامري.
4. واثنان مختصّان بالتاريخ[11]

أثبتت مكتشفات (خربة قمران) بالقرب من البحر الميّت في الخمسينات من القرن الماضي أنّ معظم هذه المكتشفات كانت مدوّنة باللغة العبريّة القديمة "لغة السامريين"، وما يزال العديد من هذه المكتشفات غامضا ومكنوزا، لم يكشف عن نقابه[12]. وقيل أيضاً إنّه يوجد بين أيدي السامريّين أكثر من مائة كتاب تتناول حالتهم الرّوحية. وتشمل اللغة السّامريّة أيضاً مفردات أخرى غير موجودة في اللغات التي اشتقت منها اللغة السامرية، وهي العبرية والسريانية والآرامية[13].

يقول الكاهن عاطف ناجي السّامري: إنّ السامريين لم يعترفوا باللغة العبريّة الجديدة لأنها تختلف خطاً ولفظاً عن العبريّة القديمة التي نسخت بها التّوراة والتي لا يزال السامريّون يؤمنون بها حتى الآن. يقول السّامريّون أنّ العبريّة ليست عبريّة اليهود الأصليّين بل هي آشوريّة الأصل. أما لغة الكلام (التخاطب) الآن عند السامريّين فهي بحسب أماكن سكنهم، فسامريّو نابلس يتكلمون اللغة العربيّة، بينما يتكلم سامريّو حولون اللغة العبرية الحديثة[14].

نحو اللغة العبريّة السامريّة:

وصف اللغة العبريّة السامريّة كان على يد أعضاء الطّائفة السامريّة أنفسهم بعد أن تأثّروا بسعديا جاؤون ونحويين آخرين معتمدين كثيرا في ذلك على ما أنتجه النحو العربي، ففي القرن العاشرالميلادي برزعدد من العلماء السامريّين، من بينهم ابن درتا الذي نشر عددا من القواعد لقراءة اللغة العبرية السامرية[15]، وبعد مضي قرن من الزمان، أي في القرن الحادي عشر، جاء أبو سعيد في *قوانين المقرا* ليحلل بعض الظواهر المختلفة للفعل والضمائر المتصلة وأدوات التعريف، وبعد ذلك جاء ابن ماروث ليضع وصفا منهجيا منظما لقواعد اللغة العبرية السامرية اعتمده النحويّون السامريون اللاحقون[16].

في كتاب *التوطيه* لا نجد ذكرا لنحويّين سامريّين سابقين أو أي عمل سابق يتعلّق بنحو اللغة السامريّة، غير أن منهج الكتاب يشير إلى أنّه أخذ الكثير من النّحاة المسلمين واليهود من أبناء

جيله[17]. يُعتبر ابن ماروث أوّل من وضع وصفا دقيقا ومنهجيّا للغة العبريّة السامريّة فهو رائد في هذا المجال، حيث اعتمد على مؤلَّفه الكثير من السامريّين الذين أتوا بعده، فعلى الرّغم من احتوائه على بعض الهفوات إلّا أنّه يعدّ بدون شك المعين الأساس في دراسات نحو اللغة العبريّة السامريّة، ففي فترة لاحقة من القرون الوسطى ظهرت كتب تعتمد على هذا الكتاب وتلخصه مثل كتاب *المغنية في مختصر كتاب التوطيه* للكاهن ابن فنحاس وكتاب *الملحق بمختصر التوطيه* للشيخ ابن مرجان الدنفي[18]. وقد عرض زئيفي بن حييم قائمة بالنحويّين السامريّين ومؤلّفاتهم في الجزء الأوّل من مجموعتة التي نشرها حول السّامريين، وسنعرض أدناه بعضا من هؤلاء النحويّين ومؤلّفاتهم التي كتبوها باللغة العربيّة والعبريّة السامريّة في القرون الوسطى:

- ابن الدّرتا: عُرف أيضا باسم טוביה، عاش في القرن العاشر الميلادي وهو شاعر معروف عند السّامريّين، ألّف الكثير من الأعمال، من بينها قوانين المقرا وهو يشرح قواعد قراءة اللغة العبريّة السامريّة[19].

- أبو سعيد بن أبي الحسن بن أبي سعيد، (1070م) كان في الكثير من مؤلّفاته يختصر اسمه فيكتبه "أبو سعيد" فقط، عُرِف بترجمته للتّوارة السّامريّة إلى العربيّة، وهو الذي ألفّ كتاب 𐤑𐤐𐤓𐤉𐤌 صحائف.

خصائص من اللغة العبريّة السامريّة:

تم تقسيم تلك الخصائص على أساس أقسام الكلم الثلاثة الاسم والفعل والحرف

أ. الجزء الأول من الكلم هو الاسم: في رسالة تتعلق في القواعد البسيطة كما في حالتنا هذه لانستطيع أن نخوض في مناقشة مسهبة عن الأنواع المختلفة للاسم حسب الأنواع التي يُشتق الفعل منها، لكنّ المُعجم يغطّي هذا النّقص للغاية العمليّة. في اللغة السامريّة وكما في اللغات الساميّة السريانيّة والعربيّة هناك جنس مؤنث ومذكر[27].

1. المفرد المذكّر: كل اسم يستعمل بطريقة بسيطة مفردة مذكرة، وهو نفسه المفرد المذكر المطلق مثل (𐤀𐤁/ اب) (𐤀𐤇/ اخ) فهذه الكلمات والتي تُعتبر من المشترك السامي تاخذ حرف الياء (י) في حالة التركيب (الإضافة) مثل العبرية (הוא אבי כל ברי עבר אחי יפת/ التكوين 10:12)؛ وعلى الرغم من أنّ هذا الاسم (אח/اخ) يستخدم كثيرا في العبرية إلا أن السامرين يستعملون وبحسب توراتهم كلمة (𐤀𐤇𐤉/ التكوين14:12) (𐤀𐤇𐤓/ التكوين 22:23).

2. المفرد المؤنث: يُشكَّل بإضافة حرف (𐤄/ الهاء) إلى نهايته في حالة الإضافة والتركيب مثل (אסולה) 𐤀𐤎𐤅𐤋𐤄 المشتقة من (𐤀𐤎𐤅𐤋/ 𐤀𐤎𐤄𐤋), وفي الكلدانية يُشكَّل بإضافة هذا الحرف

(ת)، ومن حروف المد الهجائية المستخدمة للتعبير عن حركات العلة (א) ما يستخدم أحياناً لتعبير عن جمع الإناث مثل (𐤀𐤓𐤁𐤏𐤕 𐤀𐤓𐤁𐤏𐤕 𐤉𐤅𐤌𐤃𐤌 𐤌𐤃𐤃𐤀) التكوين 14:26) وقد شكك سيللاريوس في صحة استخدام ما ينتهي بهذا الحرف (א) في شكل صيغة المؤنث مضيفا أن وجود هذين الحرفين(𐤉א) و(𐤉𐤌) يعود إلى حالة التركيب (الإضافة) وليس إلى حالة الإطلاق.

3. الحالة المطلقة، حالة التركيب وحالة الإثبات: فبينما يحافظ الاسم على شكله في حالة الإطلاق تتغير صيغته في حالة الإضافة وهي حالة مشابهة لحالة الإضافة العربية والمعروفة لدينا، مثل 𐤃𐤋𐤌 – 𐤋𐤍 (بني نوح، تكوين 7:13). أما عن حالة الإثبات فتكون بإضافة الهاء (𐤄) إلى آخر الاسم المفرد في السامرية كما في الأمثلة (𐤄𐤄𐤆𐤁) مثل (𐤁𐤋𐤄𐤔/رجل) (𐤄𐤕𐤓 شعب) ولعل من الجدير بالذكر أن السامرية أحيانا تعبر عن هذه الحالة بالإضافة في بداية الكلمة أي بلاصقة وليست بلاحقة بتأثير من اللغة السريانية و الكلدانيّة كما يرجّح بعض الباحثين.

4. جمع المذكر: إن الشبه الموجود بين السّامريّة والكلدانيّة قد يدفعنا إلى أن نتوقّع أنّ نهاية الجمع في اللغة السامريّة (𐤌) هي نفسها في السريانيّة الكلدانيّة، فالسامرية أكثر شبها بالسريانية من العبرية في هذا، علما أن نهاية الجمع في هذه الأخيرة هي (ים) وأن بعض الكلمات السامرية جاءت موافقة لطريقة الجمع هذه في العبرية من مثل (𐤇𐤌𐤌𐤓/ حياة) و (𐤕𐤌𐤃𐤁/ ملامح)، أما الحروف الأخيرة لصيغة الجمع المذكر في حالة الاطلاق وهي حروف (𐤄.𐤃.𐤕.) فإنها تحذف من صيغة الجمع في حالة التركيب وهكذا نجد أن كلمة (𐤕𐤌𐤃𐤁𐤆𐤃) في حالة الإطلاق تصبح في حالة الإضافة (𐤌𐤃𐤁𐤆𐤃) تماما كما في التركيب (𐤕𐤌𐤄𐤆𐤁𐤌𐤃𐤁𐤆𐤕) ملائكة الله وكذلك (𐤄𐤌𐤕𐤌𐤃𐤁/ وجه الماء) وهي حالة مشابهة لحذف نون آخر جمع المذكر السالم أو المثنى في حالة الإضافة العربية. وتجدر الملاحظة أن بعض أسماء المذكر تشكل جموعها صيغة تشبه المؤنث (𐤁𐤄𐤃𐤁/ آباء) و(𐤔𐤕𐤄𐤁/ أسماء)؛ أما إسقاط حرف (ו/ الياء) من صيغة الجمع فهو أمر يستحقّ الملاحظة، فكلمة (𐤃𐤌𐤁𐤃/ بيوت) تكتب بدون حرف الياء 𐤃𐤁𐤃 مع أنها تثبت في العبرية عند جمع المذكر نقول (בָּתִּים).

5. حالات إعرابية: حالة الجر هي الحالة الوحيدة التي يجري التعبير عنها بكسر الحرف؛ حالات إعرابية أخرى تُشكل بإضافة حرف جر إلى بداية الكلمات و حروف الجرهذه إما أن تكون متصلة أو منفصلة عن الاسم.

6. درجات المقارنة: هناك ثلاثة درجات للمقارنة في اللغة السامرية العبرية التشابه والتفضيل والتفضيل المطلق وكل منها محدود كما في اللغات الأخرى، فيما يخص التشابه الاعتيادي لانستطيع ان نضيف شيئا جديدا، أما الدرجة الثانية للمقارنة فتشكل بهذا الحرف 𐤁𐤃 الذي يعبر عن صيغة التفضيل كما في هذا المثال التالي من التوراة العبرية السامرية (𐤁𐤃 𐤃𐤌𐤊𐤂 𐤃𐤁 𐤅𐤋𐤀 𐤌𐤔𐤄 التكوين/ 38:26) الخروج 5:5)[21].

7. الضمائر: يمكن تقسيم الضمائر السامرية الى قسمين كما في جميع اللغات الساميّة إلى متصلة ومنفصلة.

أ- الضمائر المتصلة: وتكون لواحق في آخر الكلمات تختلف باختلاف العائد وهو الشخص الذي يعود إليه الضمير، وتتضمن الضمائر الشخصية المتصلة في حالتي الرفع وحالة النداء إلى جانب أسماء الاشارة وأسماء الاستفهام وأحيانا الضمائر الموصولة التي يتم التعبير عنها غالبا بلاحقة في أول الكلام. أما ضمائرالجر المتصلة فتتضمن ضمائر الجر الشخصية أو المسبوقة بحرف جر والأسماء الموصولة وضمائر التملك والضمائر الانعكاسية.

ب- الضمائر المنفصلة: فهي الضمائرالشخصية المعروفة في اللغات الأخرى والتي تعود إلى الشخص الأول والثاني والثالث (المتكلم المخاطب والغائب) للمفرد والجمع.

8. بناء الجملة:

- يستعمل السامريون عادة اسم مد إلى آخر بدلا من الصفة مثل (𐤀𐤓𐤊 𐤀𐤋𐤊𐤃𐤋𐤁𐤀 /الخروج 3:2)/ (𐤌𐤋𐤃𐤀 𐤊𐤓𐤀 𐤊𐤓𐤀 𐤌𐤔𐤓𐤀 /الخروج 31:10)

- يُستعمل الاسم أحيانا بدلا من الصفة للتعبير عن المضمون المراد الإخبار عنه فبحسب مثال التوراة السامرية (𐤊𐤁𐤊𐤊𐤔𐤓𐤊 / الخروج 28:17)

9. الاعداد: من 3-10 تخالف جنس المعدود مثل 𐤊𐤌𐤔 𐤃𐤌𐤊𐤁𐤊 حسب مثال التوراة السامرية (𐤌𐤁𐤋𐤀𐤌 / التكوين 14:6)

ب. الجزء الثاني من الكلم هو الفعل:

أنواع الفعل، أشكاله المختلفة، وتصريفاته: وتكون طريقة تغيير بنيان كل نوع أوصيغه من خلال الحالات الإعرابية المختلفة والأزمنة.

1. النوع المجرد يتكون من الأحرف الأصلية فقط وتنوعاتها وتكون عادة ثلاثة حروف مثلها كما في اللغة العبرية أو السامية بشكل عام.

2. الفعل المزيد يتكون من الفعل المجرد بالإضافة إلى الحروف الخوادم التي تشير إلى صيغة استثنائية عن غيرها.

4. الباحث ادموند كاستيل في معجمه عن الترجمة السبعينية للكتاب المقدس "اللغة السامرية تحوي على أنواع وصيغ عديدة للفعل يساوي عددها في الكلدانيّة والسريانيّة وهي ستة صيغ ثلاثة منها مبنية للمعلوم (pehal, pahel, aphel) وثلاثة مبنية للمجهول هي (Ethpehel, Ethpahal, Ettaphal)، الصيغ المجردة هي (pehal) والباقية هي اشتقاقيّة" . يعتقد مورينوس بوجود ثلاثة تصاريف فقط متميزة استنادا لغياب الحركات التنقيطية في اللغة السامرية [22].

5. انتهاء الفعل الماضي الذي يعود الي المخاطب المؤنث بتاء وياء موجود في بعض الاحيان في النص الماسوري.

ج. الجزء الثالث من أقسام الكلام هو الحرف: وهنا لابد من الإشارة إلى الحروف السامريّة ومايقابلها من الحروف العربيّة مع لفظها بالسامرية العبرية[23].

أ = 𐤀 ← *آلاف*

ب = 𐤁 ← *بيت*

ج = 𐤂 ← *جآمان*

د = 𐤃 ← *دآلات*

هـ = 𐤄 ← *اي*

و = 𐤅 ← *با*

ز = 𐤆 ← *زين*

ح = 𐤇 ← *ايت*

ط = ← *طِيت*

ي = ← *يُوت*

ك = ← *كاف*

ل = ← *لآبات*

م = ← *ميم*

ن = ← *نون*

س = ← *سينئ كات/ سينئ غات*

ع = ← *اين*

ف = ← *فِي*

ص = ← *صآدِي*

ق = ← *قُوف*

ر = ← *رِيش*

ش = ← *شان*

ت = ← *تاف*

1. **حروف الزيادة:**

يمكن تقسيم الأصوات إلى أصلية وخوادم، فأما الأصلية فهي التي تكوّن الجذر أو الشكل الأولي للكلمة وأما الخوادم فهي تضاف إلى الأصلية عند اشتقاق أوتصريف أوتركيب الكلمات[24]، إذ حسب نيكولا: "كل الحروف الخوادم ربما تكون أصلية، أما الحروف الأصلية فأبدا لا تكون خوادما، وهذه الحروف التي هي حروف أصلية في جوهرها هي:

𐤀/𐤁/𐤂/𐤃/𐤄/𐤅/𐤆/𐤇/𐤈/𐤉/𐤊/𐤋/𐤌/𐤍/𐤎، أما الحروف الخوادم التي يمكن أن تكون أصليّة كذلك فهي: 𐤀/𐤍/𐤄/𐤅/𐤉/𐤌/𐤔/𐤕/𐤋/𐤄/𐤅/𐤉"[25]:

2. أحرف العلة ولفظها:

ويشير بعض الباحثين إلى أنّ التّوارة السامريّة فيها حروف علّة أكثر مما في العبرانيّة كما أنّ تهجئة بعض الكلمات في السّامريّة أحدث من التهجئة العبرانيّة فقد تأثر بعضها بالآرامية، ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ السامريّين قد فقدوا لفظ الحروف الحلقية كالعين والحاء والهاء فهم يُليّنونها في اللفظ خلافا لليهود الآخرين الذين يحافظون على التلفظ بها كذلك. فالسامريّون ليس لديهم نقاط فوق الحروف تشير الى أحرف العلة بخلاف العبريّة ولتلافي هذا النقص هناك وسائل عدة مقترحة من قبل بعض الباحثين الذين يعتقدون أنّ الطريقة العبريّة-الكلدانيّة للتّنقيط جديرة بالاتباع ويشير آخرون إلى اتّباع الطّريقة السّريانية التي اتّبعها كاتب الترجمة السبعينية للتوراة، أما الباحث سيلاريوس فقد اتبع طريقة توافقية بين الاثنين محتجاً بأن اللغة السامرية فيها من الكلدانيّة السريانية والعبرية[26].

غير أنّه صار من المرجّح القول بأنّ السّامريّين لم يعرفوا ماعرفه اليهود الآخرين من نظام تنقيط، فبحسب الباحث جاك كوليوس الذي "اعتمد على شخص يألف اللغة السامرية في دمشق بأن نطق هذا الشخص كان نطقاً خشناً وغيرمصطنع مما قد يدعم الاعتقاد بأن طريقة لفظ اللغة السامريّة كانت بهذا الشّكل في الأزمنة القديمة، كما أنّ هذا الافتراض لقى تأكيداً من جانب كون السّريان والعرب الذين تعايشو الى جانب اليهود الربانيين والسامريين كذلك، لم تدخل أبدا في لغاتهم كل تلك القواعد الدّقيقة عن التنقيط التي اعتمدها اليهود الربانيّون".

3. الصوائت:

لقد رجّح جفري كولكيس "أن الحروف التالية [𐤀.𐤅.𐤌.𐤄.𐤉] التي تسمى غالباً ساكنة أو حروف علّة هي التي تمثل الصوائت التي تستخدم في قراءة اللغة العبريّة السامريّة، هذه الحروف تقابل الصّوائت الخمسة [a.e.i.o.u] على التوالي.

- الصوائت القصيرة

نوعية البنية الصوتية للصوائت القصيرة من الصّعب تصوّرها، لأنّه عادة لم يتم وضع علامة لضبطها.وما أكثر الحالات التي تقدّر أو تقيّم في طبيعتها غير المستقرة

- السامرين ليس لديهم التميز بين حرفي ش/س، فكأنّها واحدة يعبر عنها بالحرف 𐤔، وتوجد كلمات معدودة فقط بالعبريّة السامريّة تحوي ش [𐤔] ويعبر فيها عنه بـ[𐤎] مثل [𐤔𐤔𐤀𐤃/ ששון]، [𐤉𐤔𐤓𐤀𐤋/ישראל] ذلك لأنّ أغلبيّة الكلمات يحسن قياسها سينا، لكنها تقلّد السّريانيّة في بعض الحالات وتستعمل هذه الحروف [𐤎/ס]: [𐤏𐤔𐤓/עשר]، [𐤁𐤔𐤓/בשר].[28] وفي السريانية [ܫܒܘܥ/ سابوع][29].

مقارنة بين السامرية والعبرية الطبرية:

اعتمدنا في هذه المقارنة على اللغة السامريّة الموصوفة في بعض من المخطوطات المكتوبة في القرون الوسطى، كتاب "التوطيه"، من جهة وعلى بعض الدراسات الحديثة لنحو اللغة العبرية من جهة أخرى وأخذنا مثالا عن هذه الأخيرة دراسة الكاتب الألماني رودولف مييز في قواعد اللغة العبرية، معتمدين في ذلك على نسخة المترجمة إلى الإسبانية، ترجمة الأستاذ باديوس. في هذه المقارنة نحاول أن نأخذ بعضا من مستويات اللغة "الأصوات" فقط وذلك بقدر ما تتيح لنا مصادرنا من الاطلاع.

الأصوات:

يتكون النظام الألفبائي للغة العبريّة عموما من اثنين وعشرين حرفا، وليس ثمّة من فرق في هذا العدد بين السامريّة والعبريّة الطبريّة؛ وليس من فائض القول، الحديث عن نظام ألفبائي في السامريّة مختلف في رموزه عن النظام العبريّ المألوف والمعروف.

وفقا لمايير، الخط السامريّ، كما نفضل تسميته، ما هو إلا خط عبري كنعاني قديم كثير الزخرفة، كان متداولا منذ القرن العاشر قبل الميلاد وربما استمر حتى القرن الثاني قبل الميلاد حين أعلن الربانيون أن هذه الكتابة لا تفي بالغرض بالنسبة للنصوص المقدسة[30].

أما عن الخط العبريّ المربّع فهو تاريخيّا يعود إلى نهاية القرن الأوّل الميلاديّ، حين بدأ الربانيّون دعوتهم لتوحيد الخطّ العبريّ معتمدين على خط عبريّ آرامي، ثم تمّ اعتماد هذا الخط الذي نلحظ بعض سماته الثانويّة كما في السفردي الأندلسي والألماني والطبري الفلسطيني.

الصوامت: في باب الحرف ذكر مؤلف كتاب التوطيه أن حروف ألف باء هي من الحروف المفردة، وهي ذات مخارج مختلفة، وأن منها ما له مخرجان أو أكثر وهي الحروف الخمسة التالية: "𐤁/ ب، 𐤃/ د، 𐤍/ ن، 𐤐/ ف، 𐤕/ ت". لكن من أملى كتاب التوطيه لم يذكر من هذه الحروف إلا حرفي 𐤁/ب و 𐤃/ د، مع شواهد على اللفظ المزدوج لهما وذلك بحسب كونهما مدغوشين أو

مرفيين؛ فقد استشهد للباء بشاهد توراتي: 𐤁𐤄𐤁𐤀 قائلا: "فَإِن البآ الأوَلَي مَدْغوَشِهَ وَالثانيه مرْفيه"،أما الدال فشاهدها على حد قول صاحب كتاب التوطيه[31] 𐤃𐤂𐤍. 𐤃𐤁𐤓.

الحالة التي أشار إليها كاتب التوطيه، يمكن ملاحظتها في الطبرية مع اختلاف كمي وكيفي بين اللغتين، فحروف بجد كفت الطبرية المعروفة هي ستة حروف وليست خمسة، كما يمكن ملاحظة عدم وجود ך في الطبرية كحرف مزدوج اللفظ وزيادة حرفين بدلا من ذلك هما ג و כ في الطبرية.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الحروف المذكورة هي عبارة عن تمثيل لأصوات ثنائية اللفظ، فبالإضافة لكونها انفجارية في الأصل فإنها يمكن ان تلفظ احتكاكية، حالة يمكن ضبطها باستخدام نقاط فوق هذه الحروف، فكل حرف منها يمكن أن يكتب مدغوشا، أي بنقطة، لينطق به انفجاريا على الأصل بينما يلفظ محتكّا حين يكتب مرفيّا، والرّفي تقنيّة لم تعد موجودة في الطّباعة الحديثة[32].

שׂ/ ש: يعبر عن صوتين متمايزين بحسب موقع النقطة فوق الحرف إلى الشمال أم إلى اليمين في الكتابة العبرية الحديثة، أما في السّامرية فكلا اللفظين ينصهران في صوات واحد يقابله في العربية ش، في حين يتبع اللفظ الطبري التقليد الذي لا يميز بين هذين الصوتين.

ومن الجدير بالذكر أن صوت (ב/ ב) في العصور الوسطى كانت تلفظ بصورتين أيضا، إحداهما قوية والأخرى ضعيفة، ويستعان للإشارة إلى ذلك بالدغش والرفه. يقصد بها "المنقوطة وغير المنقوطة".

الصوائت:

الحركات في العبريّة الفلسطينية القديمة، ومن بينها السامرية، هي حركات فوق خطية، بينما تكون الحركات في الطبرية تحت خطية[33].

اللفظ:

تلعب المنطقة الجغرافية للغة وكذلك التاريخ دورا كبيرا في اختلاف اللفظ بين لغة وأخرى أو بين لهجة وأخرى ويبدو أن اللفظ السامريّ للأصوات يكاد ينحصر في اختيار المخرج الضعيف للصوت تماما كما يتجاوز لفظ الأصوات الحلقية. وتتمثل إحدى الميزات في اللغة العبرانية السامريّة لفترة ما بعد التوراة في الخلط بين حروف الحلق (كالعين والحاء والهاء) فيكتبونها في اللفظ خلافا لليهود الذي يحافظون على التلفظ بها وتختلف اللغة السامرية عن اللغة العبرية، حيث تلفظ الكلمات في الأولى مفتوحة وتنطق إلى فوق، وتلفظ في العبرية مكسورة وتنطق إلى تحت[34].

الاستنتاجات:

كان للسامريين نتاج علمي وثقافي مهم حالهم حال الرّبّانيّين، بل إنّ السّامريّين تفوّقوا في بعض الأحيان على الربانيّين في الكثير من ميادين المعرفة ولكن كما وضّحنا سابقا في هذا البحث أنهم لم ينشروا نتاجهم للأسباب المذكورة آنفا، ويتضح لنا هنا أن اللغة السامريّة اتفقت مع اللغة العبريّة من جهة واللغة الآراميّة بلهجاتها المختلفة من جهة أخرى وقد تكون خالفت اللغتين في بعض المرّات وهذا الأمر ليس بغريب في اللغات الساميّة التي تجمعها خصائص مشتركة كثيرة، من جهة أخرى نلحظ الشبه غير الخفي بين هذه اللغة الساميّة، العبرية السامرية، وبين لغة الضاد، لغتنا العربية شبها يتعدى مستوى الصرف في الاسم والفعل والحرف ليصل إلى بعض الظواهر التركيبية من مثل الإضافة، لا سيما إذا كان المضاف إليه جمع مذكر وهو أمر يؤكد كون السامرية على صلة وثيقة باللغة السامية الأم إذا صحت هذه التسمية.

هوامش البحث:

1 الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين. الطبعة- الرابعة دار الطليعة بيروت 1988. الجزء السادس ص 249-251.

2. The New Encyclopedia Britannica, V.10: pp 373-374.

3. زيدان، جرجي: (مؤلفات جرجي زيدان الكاملة). دار الجليل بيروت 1982. الجزء التاسع عشر ص 515.

4. المقريزي، أبو العباس، (١٤٤١ م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، بدون تاريخ. الجزء الثاني ص .477

5. مرمورة، إلياس: السامريون. دار الأيتام السورية القدس 1934. ص .2

6. تاريخ ابو الفتح وهو من أفضل جهود السامريين في كتابة تاريخهم وهو مكتوب بالعربية وبعض الإشارات من اللغة العبرية السامرية و يسرد الأخبار كما هي دون نقد او تمحيص وليس فيه تناسب في استعمال مادته، انظر:

Vilmar, E: *Abū al-Fatḥ ibn Abī al-Ḥasan, al-Sāmirī, Abulfathi Annales Samaritani*, Gothae. 1865. p 52.

7. Encyclopedia Judaica: 17:p 735.

8. Macuch, R: «Samaritan languages: Samaritan Hebrew, Samaritan Aramaic», (ed.), by Grown, Alan D, *et al*. *Mohr Tübingen*, 1989. pp. 531-584.

9. ملحم، عدنان: اوضاع الطائفة السامرية في مدينة نابلس من خلال كتاب ولاية بيروت لمحمد رفيق التميمي ومحمد بهجت دراسة تاريخية منهجية. نابلس فلسطين. 12001 الجزء الأول ص 158- 159.

10. ابن ماروث: كتاب التوطيه، المخطوطات السامرية- العربية، مكتبة جامعة ليدن، هولندا.القرن الثاني عشر الميلادي. ص .40

11. ملحم، عدنان: مرجع سابق الجزء الأول ص 160- 165.

12. Nicholl, George: A grammar of the Samaritan language, with extracts and vocabulary, London: Cambridge 1853. pp 1-2.

13. Nicholl, George: *Op. Cit*, pp 10-13.

14. الشريدة، محمد حافظ: الطائفة السّامرية تاريخها-عقيدتها- شريعتها-عادتها- واقعها المعاصر. مكتبة البيرة نابلس 1994.ص .115

15. Sáenz Badillos, Á: A History of the Hebrew Language, New York: Cambridge University Press 1994. pp 149-150.

16. Sáenz Badillos, Á: Op.cit, pp 151-152.

17. בן חיים، זאב: עברית וארמית נוסח שומרון. כרך ראשון: מבוא، כתבי הדקדוק. ירושלים תשי"ז 1957 עמ' לא.

18. בן חיים، זאב: نفس المصدر מו-מז.

19. حول الموضوع انظر: בן חיים، זאב: مرجع سابق.

20. Nicholl, George: Op.cit, pp 19-24.

21. Nicholl, George: *Op.cit,* pp23-24.

22. Nicholl, George: *Op.cit*, pp 27-85.

23. Pummer, R: The Samaritans, Leiden: (Lconography of Religions XXIII,5). 1987. P plate I.

24. Nicholl, George: *Op.cit* , p 11.

25. Sáenz Badillos, Á: *Op.cit*, pp 151-156.

26. Nicholl, George: *Op.cit*, p12.

27. Nicholl, George: Op.cit, pp 30-32.

28. Sáenz Badillos, Á: Op.cit, pp 51-54.

29. Blau, J: A grammar of Christian Arabic based mainly on South-Palestinian texts from the first millennium, 3 vols. Louvain: Secrétariat Dumbarton Corpus. 1966. P110.

30. Meyer, R: Gramática de la Lengua Hebrea, Tr, de Angel Sáenz-Badillos. 1989. pp 53 - 54.

31. ابن ماروث: مرجع سابق ص 195- 196.

32. الرفة عبارة عن خط أفقي يكتب فوق الحرف، انظر:

Meyer, R: Op.cit, p 59.

33. Meyer, R: Op.cit, p 60.

34. Macuch, R: Op.cit, pp 531-584.

المصادر

ـ مصادر البحث العربية:

1) ابن ماروث: كتاب التوطيه، المخطوطات السامرية- العربية، مكتبة جامعة ليدن، هولندا.القرن الثاني عشر الميلادي.

2) الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين. الطبعة- الرابعة دار الطليعة بيروت 1988.

3) الشريدة، محمد حافظ: الطائفة السّامرية تاريخها-عقيدتها- شريعتها-عادتها- واقعها المعاصر. مكتبة البيرة نابلس .1994

4) المقريزي، أبو العباس، (١٤٤١ م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (جزءان) مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

5) زيدان، جرجي: مؤلفات جرجي زيدان الكاملة. دار الجليل بيروت 1982.

6) مرمورة، إلياس: السامريون. دار الأيتام السورية القدس 1934.

7) ملحم، عدنان: اوضاع الطائفة السامرية في مدينة نابلس من خلال كتاب ولاية بيروت لمحمد رفيق التميمي ومحمد بهجت دراسة تاريخية منهجية. نابلس فلسطين. 2001.

8) هاشم رحيم, and نهاد حجي. "The written and linguistic characteristics of the North and South Arabic writing." *Kufa Journal of Arts* 1.5 (2009): 416-445.

ـ مصادر البحث العبرية:

8) 𐤂𐤓𐤆𐤉𐤌 𐤄𐤀 𐤔𐤋𐤔𐤄 𐤄𐤀 𐤂𐤓𐤆𐤉𐤌 𐤄𐤀 𐤏𐤀𐤁 𐤏𐤌 𐤀𐤌𐤍
𐤔𐤋𐤈𐤏𐤍𐤏𐤉𐤏𐤄 𐤏𐤄𐤓𐤂𐤓𐤆𐤉𐤌 𐤏𐤄 𐤄𐤌𐤍𐤂𐤄𐤏 𐤏𐤄𐤀𐤌𐤏𐤉𐤏 𐤏𐤄𐤔𐤌𐤏𐤉𐤏
𐤊𐤄𐤏𐤏𐤓𐤆𐤉𐤌 2004 𐤔𐤄𐤔 𐤏𐤄𐤔 𐤁𐤓𐤆𐤉𐤏 𐤂𐤌𐤏𐤔𐤏𐤌 𐤔𐤄𐤏𐤌𐤏𐤉𐤁
النصوص التوراتية المستخدمة في هذا البحث هي من التوراة السامرية العبرية حيث استطعت الحصول عليها من احد الكهنة السامريين في نابلس وهي تختلف في بعض الأحيان كتابتا ولفظا عن النصوص التوراتية العبرية فقط تنويه بسيط للقارء الكريم.

9) בן חיים, זאב: עברית וארמית נוסח שומרון. כרך ראשון: מבוא, כתבי הדקדוק. ירושלים תשי"ז 1957.

مصادر البحث الاجنبية:

10_ Blau, J, *A grammar of Christian Arabic, based mainly on South-Palestinian texts from the first millennium*, 3 vols. Louvain: Secrétariat Dumbarton Corpus. 1966.

11_ Encyclopaedia Judaica v. 17.

12_ Encyclopedia Britannica, v. 10.

13_ Macuch, R., «Samaritan languages: Samaritan Hebrew, Samaritan Aramaic», (ed.), by Grown, Alan D, *et al*. *Mohr Tübingen*.

14_ Meyer, R, *Gramática de la Lengua Hebrea*, Tr, de Angel Sáenz-Badillos. 1989.

15_ Nicholl, George F., *A grammar of the Samaritan language, with extracts and vocabulary*, London: Cambridge 1853.

17_ Pummer, R., *The Samaritans*, Leiden: (Lconography of Religions XXIII,5). 1987.

18_ Sáenz Badillos, Á, *A History of the Hebrew Language*, New York: Cambridge University Press 1994.

19_ VILMAR, E., *Abū al-Fatḥ ibn Abī al-Ḥasan, al-Sāmirī, Abulfathi Annales Samaritani*,Gothae. 1865. 1865.